الضرورة الشعرية في شروح أبيات كتاب سيبويه ، "تحليل وموازنة"

الكلمات المفتاحية:الشعر _الضرورة_ شروح

البحث مستل من رسالة ماجستير

أ٠د٠ليث أسعد عبد الحميد **إبراهيم عبد الرحمن محمد**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية **المديرية العامة لتربية ديالى**

laith.assad@yahoo.com ***Ibraheem2015@yahoo.com***

الملخص

يَضُم الأدب العربي فنوناً كثيرة ، لكن في النهاية تكون هذه الفنون الأدبية تحت أحد عنوانين ، وهما الشعر أو النثر ، ولغة الشعر لابُد أن تلتزم بالوزن والقافية ، ولغة النثر ليست كذلك . من هذا أخذ أهل اللغة والنحو يبحثون عن مبررات – إن صحّ التعبير– يلجأ إليها الشاعر ، خلافاً لمقاييس اللغة وأصولها ، وهذه المبررات سموها بالضرورة الشعرية .

فالضرورة الشعرية : هي الاستعمال الذي يلجأ إليه الشاعر ويكون مخالفاً لمقاييس اللغة وأصول نحوها الجارية .

ولجوء الشاعر إلى الضرورة ليس عيباً إنْ لم تكن الضرورة قبيحة ، والضرورة تحدث في الحركات والحروف والكلمات وحتى الجُمل وذلك بالنقص أو بالزيادة ، أو بالتقديم أو بالتأخير ، أو بالقلب أو بالإبدال ، وغير ذلك ، والشاعر المقتدر والمبدع يستطيع أنْ يوظف اللغة في شعره ، سواء ألجأ إلى الضرورة أم لم يلجأ إليها .

وقد أورَدْتُ في بحثي بعض الضرورات الشعرية التي شرحها شرَّاح أبيات كتاب سيبويه ، وهؤلاء الشرّاح هم : النحاس (ت٣٣٨هـ) ، وابن السيرافي (ت٣٨٥هـ) ، والأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ) .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين .

أمّا بعد ..

فالشعر ديوان العرب ، ولغته لها خصوصية على لغة النثر ، فالشعر مقيد بالوزن والقافية ، والنثر ليس كذلك ، واللغة لها كيانها ، وهذا الكيان فيه مقاييس اللغة وأصول نحوها ، وما النثر والشعر إلا من نتاج هذه اللغة .

وللغة أساسات معروفة عند العلماء والباحثين فيها ، فالكلمة تتألف من حروف ، وهذه الحروف هي أصوات ، ومن الكلمات تتألف جُمل ، هذه الجمل لا تتألف اعتباطاً ، وإنما على وفق مقاييس وقواعد معروفة ، توارثتها الأجيال دراسة وفهماً وتطبيقاً .

الشعر كما أسلفنا مقيد بالوزن والقافية ، فلا بُدَّ للغة الشعر أن تخرج على أصول اللغة شئنا أمْ أبينا ، لكن ما نوع هذا الخروج ، هل هو خروج لا يمس اللغة في محتواها وإطارها العام ، أو هو خروج فيه جور وتعسف على اللغة لا تحتمله ، وثمَةَ أمر آخر هو هل الحفاظ على الوزن والقافية أهمّ أو الحفاظ على اللغة بكل أركانها أهم ؟ أقول الأمران مهمان ، اللغة واللغة الجميلة ، وأقصد باللغة الجميلة الشعر ، وقد أطلق العلماء على هذا الخروج اسم (الضرورة الشعرية) ، هذه الضرورة التي بسببها أُلِّفَتْ الكتب ، فمنهم من يسهل أمرها ، ومنهم من يتشدد ويضع الشروط عند اللجوء إليها .

إنَّ استعمال الضرورة في الشعر ليس عيباً إنْ لم تكن الضرورة قبيحة ، بل هو دليل على سعة اللغة وقوتها واستيعابها لكل أنواع التعبير الفنية ، والشاعر المقتدر هو من يُطوِّع اللغة لشعره ضرورة أو من غير ضرورة ، دون أن يمس اللغة بسوء أو يجور عليها ، وفي الوقت نفسه يكون قد أخرج شعره بلغة أدبية جميلة .

وقد تناولت في بحثي هذا بعض أنواع الضرورات الشعرية التي بيّنها شراح أبيات سيبويه في شروحهم ، وهؤلاء الشرّاح هم أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، وابن السيرافي (ت٣٨٥هـ) ، والأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ) .

إنّ أغلب ضرورات الشعر تكون زيادة أو حذفاً أو تغييراً ، وهذا التغيير يشمل الحركات والحروف والكلمات وأحياناً الجمل .

ومن الجدير بالذكر ، أنّ علماء العربية في عصر سيبويه – رحمهم الله – قد أثبتوا قواعد اللغة العربية مستندين ومستشهدين بالشعر أكثر من غيره من الشواهد ، وكأن هذا دَيْنٌ للشعر على اللغة ، فسمحتْ اللغة للشعر أن يخرج على بعض قواعدها ومقاييسها! ذلك إذا كانت الضرورة لم تَجُرْ على اللغة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الضرورة الشعرية

الضرورةُ في اللغة : اسمُ لمصدر الاضطرار ، تقولُ : حَمَلَتْنِي الضرورةُ على كذا، وقد اضْطُرَّ فلانٌ إلى كذا وكذا[١] .

والضرورةُ في الشعر هي الاستعمالُ الذي يلجأُ إليه الشاعِرُ ويكونُ مخالفاً لمقاييس اللغة وأصول النحو الجارية ، وجمعُها ضروراتٌ[٢] .

وهناك من الباحثين من خَلصَ إلى أنَّ مفهوم الضرورة خروج على القياس ، وهذا المفهوم كان في نشأته الأولى مصطلحاً أصولياً في أذهان المفسرين والفقهاء ، وانتقل مصطلحاً لغوياً إلى أذهان اللغويين والنحاة ، الذين انتهى جمهورُهم إلى ((أنَّ ما يقعُ في الشعر – وحده – من الظواهر اللغوية المخالفة للقياس ، هو الضرورة ، سواء أكانَ للشاعر عنه مندوحةٌ ، أمْ لا)) [٣] .

وقد عقد سيبويه في كتابه باباً عنوانه ((هذا باب ما يحتملُ من الشعر))[٤] ، قالَ في مقدمتهِ : ((اعلمْ أنّهُ يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصَرِفُ ، يشبهونه بما ينصرفُ من الأسماء ... وحذْفِ ما لا يُحذَفُ)) ، إلى أن يقول في خاتمة هذا الباب: ((وليسَ شيءٌ يضطرونَ إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً، وما يجوزُ في الشعر أكثر من أن أذكرهُ لك ههنا ، لأنَّ هذا موضع جُمَلٍ ، وسنبيِّن ذلك فيما نَسْتَقبِلُ إنْ شاءَ الله)) .

وعقدَ باباً آخرَ بعنوان : ((هذا باب ما رخَّمَتِ الشعراءُ في غير النداءِ اضطِراراً))[٥] .

وباباً ثالثاً بعنوان : ((هذا باب وجوه القوافي في الإنشاد)) [٦] .

وقد ختمَ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة عرضَه لمواضِع الضرورة في كتاب سيبويه بقوله ، أنَّ الضرورةَ في مفهوم سيبويه ترتكز على دعامتين أساسيتين :

الأولى : أنّ الضرورة لا تعني مطلقاً الاضطرار الذي لا يجدُ عنه الشاعرُ مهرباً ، وإنما هي لون من ألوان التعبير ، للشاعر الاختيارُ في استخدامه أو تركه ، فهو يعتمدُ على مدى قدرةِ الشاعر على استخدام اللغة .

الثانية : أنّ الضرورة ليست شيئاً يبتدعه الشاعر من عنده ، مخالفاً بذلك سننَ العربية ، بل لابُدَّ من صلةٍ تربطُ بين الضرورةِ وما يجوزُ في الكلامِ المنثورِ[٧] . وفيما يأتي بعض الضرورات الشعرية التي بينها الشراح في المسائل النحوية واللغوية:

أ- ترخيمُ (أُثالة) في غير النداء:

قال سيبويه[٨] في باب ما رخَّمت الشعراءُ في غير النداء اضطراراً : ((قالَ ابنُ أحمر[٩] : [من الوافر]

أبُو حَنَشٍ يُؤَرِقُنَا وَطَلْقٌ وَعَمَّارٌ وآوِنَةً أُثَالا))

الشاهدُ فيه كما جاء عن الأعلم الشنتمري ((ترخيم (أُثالَةَ) في غير النداءِ ضرورةً ، وتركه على لفظه وإنْ كان في المعنى مرفوعاً))[١٠] ، وتركه على لفظهِ أيْ بعد أن رخَّمَهُ بحذفِ التاء من (أُثالةَ) أبقى الحرف الذي قبل التاء وهو اللامُ على حركته التي كان عليها قبلَ الترخيم على لغةِ مَنْ ينتظرُ الحرفَ المحذوفَ .

أمّا في شرح النحاس فاكتفى بقوله : ((أراد : أُثالةً فَرَخَّمَ))[١١] ، ولم يزِدْ على ذلك.

أمّا ابن السيرافي فقال : ((والشاهدُ على ترخيم (أُثال) في غير النداء ، وروى الرواة أنّ اسمَ الرجل كان أثالاً ، وأنّه غير مُرَخَّم ونَصْبُهُ على إضمار فعلٍ ، كأنَّهُ : وآونة نتذكر أُثالاً))[١٢] ولم يُبيِّن النحاسُ وابن السيرافي ما جرى للاسم بعد ترخيمِهِ .

إنّ ما يجرى للاسم بعد ترخيمه هو أحَدُ وجهينِ ، وهذان الوجهان بَيَّنَهما سيبويه[١٣] ، ووافقَهُ الأعلمُ الشنتمريّ ، إذْ يقول : ((وقد قدَّمْتُ أنّ سيبويه يرى أنّ إجراءَهُ بعد الترخيم في غير النداء على الوجهينِ الجائزين فيما رُخِّمَ في النداء))[١٤] . حيث كان الأعلمُ قد بيَّنَ هذين الوجهين في شاهدٍ سابقٌ لهذا الشاهد ، وهو لامرئ القيس[١٥] : [من الطويل]

لَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضَوءِ نارِهِ طَرِيفُ بْنُ مالٍ لَيْلَةَ الجوعِ والخَصَرْ

والشاهدُ في هذا البيت ((ترخيم (مالك) في غير النداء ضرورة ، وجعله بمنزلة اسم لم يحذَفْ منه شيءٌ ، فلذلك جرَّه بالإضافة ، وهذا حُكْمُ ما رُخِّمَ في غير النداء ضرورة عند أكثر النحويين))[١٦] ، إلا أنّ المبرّد لم يجز الترخيم إلا على لغة من لم ينوِ خاصة[١٧]، أي لغة من يرى ألا عودة للحرف الذي حُذِفَ في الترخيم ، وكأنما انفصل نهائياً ، وتسمى لغة من لا ينتظرُ .

ويكملُ الأعلمُ كلامه ويقولُ : ((ومذهبُ سيبويه إجراؤُهُ على الوجهين ؛ لأنّ الشاعرَ إذا اضطُرَ إلى ترخيمهِ وحذفِهِ فإنّما ينقله من باب النداء على حَسَبِ ما كانَ عليه ، وهو في باب النداء متصرفٌ على الوجهين فَيُجْرِيهِ في غير النداء على ذلك))[١٨] .

وهذا ما جرى لـ(مالٍ) في البيت الشاهد ، فكلمةُ (مالٍ) منونةٌ ومجرورةٌ بالإضافة، وبالإمكان عدمُ تنوينها على حسب ما يقتضيه الأمر ، فالتنوين في (مالٍ) أبقى وَزْنَ البيتِ صحيحاً[١٩] وذكر أبو البركات الأنباري رأي المبرد إذ يقول : ((وزَعَمَ المبردُ أنّهُ ليس في العرب أُثالة ، وإنما هو أُثالٌ ، و نصبه على تقدير: يذكرني آونةً أُثالاً))[٢٠] .

وذكر الأعلمُ الشنتمري تقديراً آخَرَ يخرجُ به عن مذهب سيبويه والمبرد ، وهو أنْ يَنصبَ أُثالاً وهو غيرُ مرخَّم بإضمارِ فعلٍ دلَّ عليه (يُؤَرِّقُنا) لأنّه إذا أرَّقَهُ فقد ذكرَهُ ، فكأنه قال : ((وآوِنَةً أذكرُ أُثالاً فيؤرِقُنا ، وآونةٌ جَمْعُ أوانٍ ، ونَصْبُهُ على الظَرْفِ))[٢١] .

فالترخيمُ فيه لُغتانِ : لغة من ينتظرُ ، ولغة من لا ينتظِرُ ، ولا يتعلقُ استعمالُ أيٍّ منهما من أثر في المعنى لأنهما لغتان ، واللغة الأولى أكثر استعمالاً[٢٢].

ب- تحريك ياء (الغواني) بالكسر :

قال سيبويه[٢٣] : ((قالَ الشاعرُ ابنُ قيس الرُّقَيَّات[٢٤] : [من المنسرح]

لا بَارَكَ اللهُ في الغَوَانِي هَلْ يُصبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ))

الشاهد فيه كما جاء في شرح النحاس : ((كسر الياء من الغواني كما تكسر الباء من الضوارب))[٢٥] ، إنّ قول الشارح هذا لا يوافقُ ما جيءَ بالبيت من أجل الاستشهاد به، فقول الشارح مبهمٌ ، كما أنّ روايته للبيت فيها اختلاف ، فعندهُ (الغواني ما) بدل (الغواني هَلْ) .

أما ابن السيرافي فالشاهد عنده ((أنه حركَ الياء من (الغواني) بالكسر للضرورة))[٢٦] ، وذكر ابن السيرافي أنه رأى في بعض المواضع : (((إلا لهُنَّ مطَلِبُ) بكسر اللام ، أي لهنَّ من يطلبهنَّ ، وما أحب هذه الرواية لقلة من يرويها))[٢٧] .

وقد عقَّب الغندجاني على ما ذكره ابن السيرافي عن الشاهد ، قال : ((إنّما يكونُ البيتُ حُجّة عند الضرورة إذا لم يكن في موضع الشاهد منه روايةٌ أخرى هي أجود من الأولى ، ولم يُمكن رواية ذلك على وجهٍ آخرَ ، فأمّا هذا البيت الذي أورده، فقد رُويَ فيه وجهٌ آخرُ رواهُ الأصمعي ، وهو :

لا بَارَكَ اللهُ في الغَوَانِ وهَلْ يُصبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ

وتعلقُ المحتجِّ بهذا البيت ، يدل على أنَّه لم يكن غزيراً في رواية الشعر))[٢٨].

أقولُ : الغندجاني يتَّهمُ مَنْ ؟ سيبويهِ أم ابن السيرافي ؟ فالأوّلُ مؤلِفٌ ، والثاني شارح ، فلا الأولُ بمتَّهمٍ ولا الثاني ، فسيبويه أخذ الروايةَ من الرواة ، وابن السيرافي وجدها في الكتاب

وشرحها ، وجزى اللهُ الاثنينِ خيراً ، نعم كان على ابنِ السيرافي بعد أنْ يشرحَ روايةَ الكتابِ أن يأتي بالرواية الأخرى إنْ صَحَّتْ ، وهذا ما فعلَهُ الأعلمُ الشنتمريُّ ، فبعدَ أنْ بيَّنَ الشاهدَ وهو في تحريك الياء من (الغواني) وإجرائها على الأصل ضرورةً ، قال : ويروى (في الغَوَانِ أمَا) بحذفِ الياء ضرورةً[٢٩] .

ج- إثبات الياء في المضارع المجزوم :

قال سيبويه[٣٠] : ((أنشدَنا من نثقُ بعربيتهِ[٣١] : [من الوافر]

ألَمْ يأتِيكَ والأنباءُ تَنْمِي بِما لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ))

الشاهدُ فيه عند ابن السيرافي ((أنَّهُ أثبتَ الياءَ في (يأتيك) وهو مجزوم ، وكأنّهُ بمنزلة من اضطُرَ إلى تحريك الياء بالضمّ في حال الرفع ، فلما جزمَ حذَفَ الحركة التي كانت على الياءِ))[٣٢] .

وبكلام مشابهٍ لابن السيرافي بيّن الأعلمُ الشنتمري الشاهدَ إذْ قال : ((أثبتَ الياءَ في حالِ الجزمِ ضرورةً ؛ لأنّهُ إذا اضطُرَّ ضمَّها في حالِ الرفع تشبيهاً بالصحيح ، وهي لغةُ لغيرهِ ضعيفةٌ فاستعملها عند الضرورة))[٣٣] .

أمّا ما جاءَ في شرح النحاس فهو : ((الوجهُ أنْ يقولَ : ألَمْ يأتِكَ ولكن هذا من لغتهِ أن يقولَ : هو يأتِيكَ كما تقولُ : هو يضربك فحذفَ الضمَّة من الياء وأسكنها في الجزم))[٣٤] .

تبيَّن لنا أنَّه في شرح النحاس وعند الأعلم ما قالاه في هذا الشاهد هو لغةٌ ضعيفةٌ ، لكنهما لم يذكرا لغة مَنْ مِنْ القبائل هذه اللغة الضعيفة .

وبعد أن بيّن ابنُ السيرافي الشاهدَ ، وتبعهُ الأعلمُ الشنتمري ، أخذا بإيجاد التقديرات والتخريجات الكثيرة لإعراب هذا البيت[٣٥] .

د- الإخبار بالمعرفة عن النكرة :

قال سيبويه[٣٦] في باب الفعل الذي يتعدى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول واسمُ الفاعل والمفعول[٣٧] ، فيه لشيء واحد : ((لا يُبَدأُ بما يكون فيه اللبس ، وهو النكرة ، ألا ترى أنّكَ لو قلت : كان إنسانٌ حليماً أو كان رجلٌ منطلقاً ، كنت تُلبِسُ ؛ لأنّهُ لا يُسْتَنكَرُ أن يكونَ في الدنيا إنسانٌ هكذا ، فكرهوا أنْ يَبْدَؤا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه هذا اللبس وقد يجوز في الشعر وفي ضَعْفٍ من الكلامِ ، حَمَلَهم على ذلك أنّه فِعْلٌ بمنزلة ضَرَبَ

، وأنّه قد يُعلَمُ إذا ذكرتَ زيداً وجعلتهُ خبراً أنّه صاحبُ الصفة على ضَعْفٍ من الكلام ، وذلك قول خِداش بن زُهير[٣٨] : [من الوافر]

فَإِنَّكَ لا تُبالي بَعدَ حَولٍ أَظَبيٌ كانَ أُمَّكَ أَمْ حِمارُ

فَقَدْ لَحِقَ الأَسافِلُ بِالأَعالي وَماجَ اللُؤمُ وَاِختَلَطَ النِجارُ

وَعادَ العَبدُ مِثلَ أَبي قُبَيسٍ وَسِيقَ مَعَ المُعَلهَجَةِ العِشارُ

الشاهدُ في البيت الأوّل ، ((فإنَّهُ جَعلَ النكرةَ اسمَ كانَ والمعرفةَ خبَرَها))[٣٩] ، وبيَّنَ الأعلمُ الشنتمريُّ المُسوِّغَ لذلك ، فقال : ((ووَجهُ مَجازِ ذلك أنّ (كانَ) فعلٌ بمنزلة ضَرَبَ في التصرُّفِ ، وضَرَبَ قد يَرْفَعُ النكِرةَ وينصبُ المعرفة ، فَشُبِّهَتْ بِها عند الضرورةِ))[٤٠] .

جاءَ في مُغني اللبيب قولُ ابن هشام في البيت الشاهد : ((أنّ (ظبي) اسم لـ(كان) محذوفة مفسَّرة بـ(كان) المذكورة ، أو مبتدأ ، والأولُ أولى ، لأنَّ همزةَ الاستفهام بالجمل الفعلية أولى منها بالأسمية ، وعليهما فاسمُ (كان) ضمير راجع إليه، وقول سيبويه : (إنه أخبرَ عن النكرةِ بالمعرفةِ) واضح على الأول ؛ لأنّ (ظَبْياً) المذكور اسم (كان) ، وخبرُه (أُمَّكَ) ، وأمّا على الثاني فَخَبَرُ (ظبي) إنّما هو الجملةُ ، والجُمَلُ نكراتٌ ، ولكن يكونُ محلُّ الاستشهاد قوله : (كانَ أُمَّكَ) ، على أنّ ضمير النكرة عندهُ نكرةٌ لا على أنّ الاسمَ مُقَدَّمٌ))[٤١] .

لم يردْ هذا البيت الشاهد في شرح النحاس بروايته الصحيحة وإنما جاء ملفقاً .

هـ- إدخال الكاف على الضمير :

قال سيبويه[٤٢] في باب ما لا يجوز فيه الإضمارُ من حروف الجرِّ : ((واستغنوا عن الإضمار في مُذْ بقولهم : مذ ذاك ؛ لأنَّ ذاك اسمٌ مبهمٌ ، وإنّما يُذكرُ حين يُظنُّ أنّه قد عرفت ما يعني ، إلا أنَّ الشعراءَ إذا اضطرُّوا أضمروا في الكاف، فيُجْرُونَها على القياس قالَ العجاج[٤٣] : [من الرجز]

وأُمَّ أوْ عالٍ كَها أوْ أقْرَبَا))

الشاهد فيه عند ابن السيرافي ((أنَّهُ اضطُرَّ فأدخلَ الكاف على الضمير))[٤٤] ، وزاد الأعلمُ الشنتمري قائلاً : ((تَشْبيهاً لها بـ(مِثْلٍ) لأنّها في معناها))[٤٥] .

وأنشدَ سيبويه بعدَهُ شاهداً[٤٦] آخَرَ ، وهو للعجاج[٤٧] أيضاً ، قوله : [من الرجز]

فَلا تَرَى بَعْلاً ولا حَلائِلا كَهُ وَلا كَهُنَّ إلاَّ حَاظِلا

((الشاهد في قوله : (كَهُ ولا كَهُنَّ) ، وأراد مِثْلَهُ ومِثْلَهنَّ))[٤٨] ، هذا ما قاله الأعلم الشنتمري

أمّا ابن السيرافي فقولُهُ في هذا الشاهد كقولِهِ في الشاهد[٤٩] الذي قبله .

أمّا في شرح النحاس فلم يرد الشاهدُ الأولُ ، وإنما وردَ الثاني ، وقال فيه : ((حُجّة لقوله : كَهُ وكَهُنَّ بمنزلة لهُ ولَهُنَّ))[٥٠] .

وقد وردَ الشاهدان في شرح ابن عقيل ، وعدَّ الشارحُ جَرَّ الضمير بالكاف شاذاً في الموضِعَينِ[٥١] .

و- تنكير (سبحان) وتنوينه :

قال سيبويه[٥٢] في بابٍ عنوانهُ : هذا بابٌ أيضاً من المصادر ينتَصِبُ بإضمار الفعل المتروك إظهارهُ : ((وقد جاءَ سُبحانَ منوَّناً مُفْرَداً في الشعر ، قال الشاعرُ ، وهو أُميَّةُ بن أبي الصلت[٥٣] : [من البسيط]

سُبحانَهُ ثُمَّ سُبحاناً يَعودُ لَهُ وَقَبلَنا سَبَّحَ الجودِيُّ وَالجُمُدُ))

الشاهد فيه في شرح النحاس ((أنّهُ جَعَلَ سبحانَ نكرةً ونَصَبَهُ وأفردَهُ ولم يُضِفْهُ)) ، ورواية البيت فيه : (يُعَدُّ لهُ) بدل (يعودُ لَه) [٥٤] .

أمّا ابن السيرافي فَلَم يبيِّنْ الشاهِدَ في البيتِ ، وإنَّما شرحَهُ فقط ، ورواية البيت عنده : ((نعوذُ بهِ) بدل (يَعودُ لهُ) ، ثمَّ قال : ((ويُروى (سُبحاناً نعودُ لهُ) أي تسبيحٌ مرةً بعد مرةٍ))[٥٥] .

وأمّا الأعلمُ الشنتمريُّ فقالَ : ((الشاهدُ فيه قولُه : (سُبحاناً) وتنكيرُهُ وتنوينُهُ ضرورةً ، والمعروفُ فيه أن يُضافَ إلى ما بعدَهُ ، أو يُجْعَلَ مفرداً معرفةً كما تَقَدَّمَ في بيت الأعشى ، ووجهُ تنكيرِهِ وتنوينِهِ أنْ يُشَبَّه بـ(براءةً) لأنّهُ في معناها))[٥٦] .

وبيتُ الأعشى[٥٧] الذي قَصَدَهُ الأعلمُ فهو : [من السريع]

أقُولُ لَمّا جاءَني فَخْرُهُ سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

((الشاهدُ فيه نَصْبُ (سُبْحانَ) على المصدر ، ولُزومُها للنَصْبِ من أجلِ قِلَّةِ التَمَكُّن، وحذفُ التنوين منها ؛ لأنّها وُضِعتْ عَلَماً للكَلِمَةِ فَجَرَتْ في المَنْعِ من الصَرفِ مَجرى عُثمانَ ونَحْوِهِ ، ومعناها البراءَةُ والتَنْزِيهُ))[٥٨] .

وجاء في كتاب العين : ((سُبحانَ اللهِ : تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أنْ يُوصف به، ونَصبُهُ في موضع فعلٍ على معنى : تسبيحاً لله ، أي نَزّهْتُهُ تنزيهاً ، ويقالُ : نُصِبَ (سُبْحانَ الله) على الصرفِ ، وليسَ بذاكَ ، والأولُ أجودُ))[٥٩] .

فسبحانَ ملازمةٌ للنصبِ لأنها مصدر ، وتكونُ على ثلاث حالات : إمّا أنْ تكون مفردةً كما في بيتِ الأعشى ، أو مضافةً إلى ما بعدها وهو الأغلب ، ولا تُضافُ إلا للهِ أو أسمائِهِ أو صفاتهِ ، أو منَوَّنَةً ، ولا تأتي منوَّنَةً إلا في ضرورة الشعر ، كما في الشاهد في البيت الأول

ز – إدخال نون التوكيد الخفيفة على المضارع :

قال سيبويه[٦٠] في باب النون الثقيلة والخفيفة : ويجوزُ للمضطَرِّ أنتَ تَفعلَنّ ذاك ، شبهوه بالتي بعد حروف الاستفهام ، لأنها ليستْ مجزومة والتي في القسم مرتفعة ، فأشبهَتها في هذه الأشياء ، فجُعِلَتْ بمنزلتها حين اضطُرّوا ، وقال الشاعر جَذيمةُ الأبرش[٦١] : [من المديد]

رُبَّما أَوفَيتُ في عَلَمٍ تَرفَعَنْ ثَوْبي شِمالاتُ
في فُتُوٍّ أَنا رابِئُهُمْ من كلالِ غَزوَةٍ ماتوا
لَيتَ شِعري ما أَصابَهُمُ نَحنُ أَدلَجنا وَهُم باتوا

((الشاهدُ في إدخالِ النون في (تَرْفَعَنْ) ضرورة)) ، هذا ما قالهُ الأعلم الشنتمري[٦٢] .

أمّا ابن السيرافي فجاء بقولٍ مُختصرٍ جداً وقال((الشاهد فيه أنه أدخل النونَ في(ترفع)))[٦٣]

وقال سيبويه[٦٤] : ((وقد تدخل النون بغير ما في الجزاء ، وذلك قليلٌ في الشعر، شبَّهوهُ بالنهي حين كان مجزوماً غير واجبٍ ، قال الشاعر[٦٥] : [من الطويل]

نَبَتُّمْ نَبَاتَ الخَيْزُرَانِيّ فِي الثَّرَى حَدِيثاً مَتَى مَا يَأتِكَ الخَيْرُ يَنْفَعا))

الشاهد عند ابن السيرافي في ((إدخالهِ النون الخفيفة في الفعل الذي هو جواب الشرط))[٦٦]

لم يبيِّن ابنُ السيرافي إنْ كانَ إدخال نون التوكيد بِمُسَوِّغٍ نحوي أم لضرورةٍ شعرية.

بينما الأعلم الشنتمري فلَهُ رأيٌ يختلفُ بعضَ الشيء إذ يقول : ((الشاهد في إدخال النون على (يَنْفَعَنْ) وهو جواب الشرط ، وليس من مواضع النون لأنه خبرٌ يجوزُ فيه الصدقُ والكَذِبُ ، إلا أنَّ الشاعِرَ إذا اضطُرَّ أكّدَهُ بالنون تشبيهاً بالفِعل في الاستفهام لأنه مستقبلٌ مِثلُهُ))[٦٧] .

إنّ تبريرَ الأعلم هذا التوكيدَ لفعل خبريٍّ ، رَدَّ عليهِ الدكتور محمد علي سلطاني ، محقق شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ، قائلاً : ((وقد برَّرَ الأعلمُ هذا التوكيد لفعل خبري يحتملُ الصدقَ والكذِبَ بأنّه يشبه الاستفهام في أنّهُ مستقبلٌ مثلهُ ، ولا يخرجُ الأمرُ في الحقيقة عن الضرورة الشعرية)) [٦٨] . وقال[٦٩] : [من الكامل]

مَنْ يُثْقَفَنْ منهم فَلَيسَ بآئبٍ أَبَداً وَقَتلُ بَني قُتَيبَةَ شافي

الشاهد فيه كما جاء عند الأعلم الشنتمري : ((إدخال النون على فعل الشرط وليس من مواضعها ، إلا أنْ يُوصَلَ حرفُ الشرط بـ(ما) المؤكّدَةِ فيضارعَ ما أُكِّدَ باللامِ لليمين))[٧٠] .

إنَّ كلام الأعلم هذا واضح تماماً إذْ لا يوجد المسوغُ الذي يسمح بدخول نون التوكيد على الفعلِ المضارع (يثقفُ) ، وإنما كان إدخال النون للضرورة الشعرية .

أمّا ابن السيرافي فلم يبيّنْ الشاهدَ ، وإنما شرح البيتَ الشاهدَ والبيتَ الذي معَهُ، وفي نهاية الشرحِ قال : ((وفي الشعرِ :

مَنْ يَثْقَفُوا مِنّا فليسَ بآيبٍ

وعلى هذا الإنشادِ لا شاهِدَ فيه))[٧١] .

الخاتمة

أهم ما توصلت إليه في بحثي ما يأتي :

١. الضرورة في الشعر هي الاستعمال الذي يلجأ إليه الشاعر ، ويكون مخالفاً لمقاييس اللغة وأصول النحو الجارية ، سواء أكان للشاعر عنه مندوحة ، أمْ لا .
٢. إنّ اللجوء إلى الضرورة في الشعر ليس عيباً ، إنْ لم تكن الضرورة قبيحة .
٣. أهم الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر في شعره هي الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والقلب والإبدال وغيرها ، وهذه الضرورات تدخل على الحركات والحروف والكلمات .
٤. الضرورات الشعرية كثيرة ، ويستطيع الشاعر المقتدر والمبدع أن يطوع اللغة لشعره ، ويستفيد من اللجوء إلى الضرورة دون أن يمس اللغة شيء .

والحمد لله رب العالمين

Abstract

Poetry and License in the Explication of Verses in the Book of Sibawayh "Analysis and Comparison"

Keywords : Poetry, License, Explications

A Paper Extracted from M.A Thesis

Prof. Laith A. Abdulhameed (PhD)
Diyala University
College of Education for Human Sciences

braheem A. Mohammed
Diyala General Directorate of Education

Arabic literature comprises a variety of arts, yet, at the end all such arts will be labelled under one of two; verse or prose. The language of poetry should be committed to meter and rhyme, whereas the language of prose is

not. Stemming from this notion, linguists and grammarians started to search for justifications, so to speak, poets resort to contrary to the standards of language and its principles. Such justifications are called poetic license.

Therefore, poetic license is the use the poet resorts to and be contrary to language standards and grammar principles.

The poet's use of poetic license is not a flaw if the license is not disgraceful. The license took place in diacritical marks, letters, words and even sentences in the form of decrease or increase, anastrophe, inversion or displacement, and the like. A competent and creative poet is able to employ language in his poetry, whether resorting to license or not. In the paper, we have mentioned some of the poetic licenses that were elucidated by the Book of Sibwayh explicators who are: Elnahhas (D.338 H.), Ibn Elsirafi (D.385 H.), and Ela'lam Elshantmari (D.476 H.).

الهوامش

(١)ترتيب كتاب العين : ٢/١٠٤٠ ؛ وينظر : القزاز القيرواني : ١١٧ .

(٢)القزاز القيرواني : ١١٧ .

(٣)الضرورة الشعرية دراسة لغوية نقدية : ١٠ .

(٤)الكتاب : ١/٢٦-٣٢ .

(٥)ينظر : الكتاب : ٢/٢٦٩-٢٧٤ .

(٦)ينظر : المصدر نفسه : ٤/٢٠٤-٢١٦ .

(٧)ينظر : شواهد الشعر في كتاب سيبويه : ٤٩٦-٤٩٧ .

(٨)الكتاب : ٢/٢٦٩-٢٧٠ .

(٩)شعره : ١٢٩ .

(١٠)تحصيل عين الذهب : ٣٤٠ .

(١١) شرح النحاس : ١٩١ .

(١٢)شرح ابن السيرافي : ١/٤٨٨ .

(١٣)الكتاب : ٢/٢٤٦-٢٥٦ .

(١٤)تحصيل عين الذهب : ٣٤٠ .

(١٥)البيت في الكتاب : ٢/٢٥٤ ؛ وديوانه : ١٤٢ .

(١٦)تحصيل عين الذهب : ٣٣٦ .

(١٧)تحصيل عين الذهب : ٣٣٦ ، الحاشية (١١٧٤) .

(١٨)المصدر نفسه : ٣٣٦ .

(١٩)ينظر : النحو الوافي : ٤/١١٧ .

(٢٠)الإنصاف : ١/٣٥٥ .

(٢١)تحصيل عين الذهب : ٣٤٠ .

(٢٢)ينظر : معاني النحو : ٢٨٦/٤ .

(٢٣)الكتاب : ٣١٣/٣-٣١٤ .

(٢٤)ديوانه : ٣ ، وروايته فيه : الغَوَانِ فَمَا .

(٢٥)شرح النحاس : ٣٧ .

(٢٦)شرح ابن السيرافي : ٥٩٦/١ .

(٢٧)المصدر نفسه : ٥٩٨/١ .

(٢٨)فُرحة الأديب : ١٢٩ .

(٢٩)تحصيل عين الذهب : ٤٨٨-٤٨٩ .

(٣٠)الكتاب : ٣١٥/٣-٣١٦ .

(٣١)البيت لقيس بن زهير في شرح ابن السيرافي : ٣٤٠/١ ؛ وتحصيل عين الذهب : ٧٠ ، وليس في شعره .

(٣٢)شرح ابن السيرافي : ٣٤٠/١ .

(٣٣)تحصيل عين الذهب : ٧١ .

(٣٤)شرح النحاس : ٣٨ .

(٣٥)ينظر : شرح ابن السيرافي : ٣٤١/١-٣٤٢ ؛ وينظر : تحصيل عين الذهب : ٧١ .

(٣٦)الكتاب : ٤٥/١-٤٨ .

(٣٧)يقصد بهما الاسم والخبر . ينظر : الكتاب : ٤٥/١ الحاشية (٢) ؛ وهمع الهوامع : ١١١/١.

(٣٨)الكتاب : ٤٨/١ ؛ والمقتضب : ٩٤/٤ ؛ والنكت : ١٨٤ ؛ وتحصيل عين الذهب : ٧٧ ؛ ولثروان بن فزارة بن عبد يغوث في شرح ابن السيرافي : ٢٢٧/١ .

(٣٩)شرح ابن السيرافي : ٢٢٨/١ .

(٤٠)تحصيل عين الذهب : ٧٧ .

(٤١)مغني اللبيب : ٣٤١/٢ .

(٤٢)الكتاب : ٣٨٣/٢-٣٨٤ .

(٤٣)المصدر نفسه : ٣٨٤/٢ ؛ وملحقات ديوانه : ٧٤ .

(٤٤)شرح ابن السيرافي : ٩٥/٢ .

(٤٥)تحصيل عين الذهب : ٣٨٣ .

(٤٦)الكتاب : ٣٨٤/٢ .

(٤٧)نُسِبا إلى العجاج في الكتاب : ٣٨٤/٢ ؛ والصواب أنهما لرؤبة في ديوانه : ١٢٨ .

(٤٧)تحصيل عين الذهب : ٣٨٣ .

(٤٨)ينظر : شرح ابن السيرافي : ١٦٣/٢ .

(٤٩)شرح النحاس : ٢٠٧ .

(٥٠)ينظر : شرح ابن عقيل : ١٣/٢-١٤ .

(٥١)الكتاب : ٣٢٢/١-٣٢٦ .

(٥٢)المصدر نفسه : ٣٢٦/١ ؛ وديوانه : ٣٣٣ ؛ ونُسِب البيت إلى زيدٍ بن عمرو بن نُفيل في شرح ابن

(٥٣)السيرافي : ١٩٤/١ .

(٥٤)شرح النحاس : ١٣١ .

(٥٥)شرح ابن السيرافي : ١٩٤/١-١٩٥ .

(٥٦)تحصيل عين الذهب : ٢١٤ .

(٥٧)الكتاب : ٣٢٤/١ ؛ وشعره : ١٩٣ .

(٥٨)تحصيل عين الذهب : ٢١٣ .

(٥٩)ترتيب كتاب العين : ٧٨١/٢ .

(٦٠)الكتاب : ٥٠٨/٣-٥١٨ .

(٦١)المصدر نفسه : ٥١٨/٣ ؛ وخزانة الأدب : ٥٦٧/٤ ؛ وبلا عزو في المقتضب : ١٥/٣ .

(٦٢)تحصيل عين الذهب : ٥٢٤ .

(٦٣)شرح ابن السيرافي : ٢٨٢/٢ .

(٦٤)الكتاب : ٥١٥/٣ .

(٦٥)بلا عزوٍ في الكتاب : ٥١٥/٣ ؛ وللنجاشي الحارثي في شرح ابن السيرافي : ٣٠٨/٢ ؛ وشعره : ١١٠ .

(٦٦)شرح ابن السيرافي : ٣٠٨/٢ .

(٦٧)تحصيل عين الذهب : ٥٢٢ .

(٦٨)شرح ابن السيرافي : ٣٠٨/٢ ، الحاشية (٢) .

(٦٩)الكتاب : ٥١٦/٣ ، وهو بلا عزوٍ فيه ، ولبنت أبي الحصين من قبيلة مَذْحِج في شرح ابن السيرافي : ٢٦٢/٢ ، ولبنت مُرّة بن عاهان الحارثي في : خزانة الأدب : ٥٦٥/٤ .

(٧٠)تحصيل عين الذهب : ٥٢٣ .

(٧١)شرح ابن السيرافي : ٢٦٤/٢ .

المصادر والمراجع

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري (٥٧٧هـ)، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط٤ ، ١٩٦١م .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ) ، تح وتعليق : د. زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤م .
- ترتيب كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطابع الهيأة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٠م .
- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق : د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- ديوان امرئ القيس – رواية الأصمعي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٤م .
- ديوان أُمية بن أبي الصلت ، جمعهُ : بشير يموت ، بيروت ، ط١ ، ١٩٣٤م.
- ديوان رُؤبة بن العجاج ، تح : وليم بن الورد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م .
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تح : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م .
- ديوان العجاج – رواية الأصمعي وشرحه ، تح : د. عزة حسن ، مطبعة دار الشرق ، بيروت ، ١٩٧١م .
- شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد يُوسف بن أبي سعيد السيرافي (ت٣٨٥هـ)، تح: محمد علي سلطاني ، المطبعة الحجازية ، دمشق .
- شرح ابن عقيل ، عبد الله بن عقيل العقيلي المصري (ت٧٦٩هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ١٩٦٤م .

- شعر عمرو بن أحمر ، تح : د. حسين عطوان ، مطبعة دار الحياة ، دمشق.
- شعر قيس بن زهير ، تح : عادل البياتي ، النجف ، ١٩٧٢م .
- شعر النجاشي الحارثي ، جمع : د. سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث عشر ، بغداد ، ١٩٦٦ .
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه ، د. خالد عبد الكريم جمعة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الصفاة ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- الضرورة الشعرية دراسة لغوية نقدية ، د. عبد الوهاب محمد علي العدواني، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقدهِ ، لأبي علي الحسن بن علي ابن رشيق القيرواني (ت٤٢٦هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط٢ ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- فُرحة الأديب ، لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني (كان موجوداً سنة ٤٣٠هـ) ، تح : د. محمد علي سلطاني ، دمشق ، ١٩٨٢م .
- القزاز القيرواني أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي (ت٤١٢هـ) حياته وآثاره ، تأليف : المنجي الكعبي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م .
- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- معاني النحو ، تأليف : د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان – الأردن ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : حسن جمد ، وأشرف عليه وراجعه : د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- المقتضب ، لأبي العباس المبرّد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، نشرته لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٥هـ.
- النحو الوافي، تأليف: عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ١٩٧٥م.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ) ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط١، ١٩٨٧م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .